الفصل الثاني

أشهر ما دوّن في صدر الإسلام

كان بعض الصحابة قد كتب عن رسول الله ﷺ بعض أحاديثه، بإذن خاص منه كعبد الله بن عمرو، والأنصاري الذي كان لا يحفظ الحديث، كما كتب غيرهم جانباً من حديثه ﷺ بعد إذنه بالكتابة إذناً عامًّا كما سبق، وأخبار صحف الصحابة وكتبهم كثيرة جدًّا، وإن أكثر ما كتبوه تناقله الناس في حياة أصحابه وبعد وفاتهم عن طريق أبنائهم و أحفادهم وذويهم[1].

وقد بلغت كتب الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء، وإلى ولاته وعماله وقواده، وإلى أهل الذمة وغيرهم نيفاً ومئتين وثمانين (٢٨٠) كتاباً.

وكان عند نحو ثلاثين صحابيًّا كتب وصحف فيها أحاديث كثيرة لا يمكن حصرها، وأما التابعون الذين اهتموا بكتابة الحديث فكثيرون جدًّا، ومدوناتهم تفوق الحصر، وسأكتفي بذكر أشهر المدونات في صدر الإسلام.

١ ـ الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص (٧ق هـ - ٦٥هـ): ضمت نحو ألف حديث، نقل إلينا الإمام أحمد محتواها في «مسنده»، كما نقلت كتب السنن الأخرى جانباً كبيراً منها، ولهذه الصحيفة[2]

---

(١) بسطت القول فيها في كتابي «السنة قبل التدوين»، وانظر «الوجيز» ص ١٦٧ - ١٧٣.

(٢) يسمى عبد الله ما كتبه عن الرسول ﷺ بالصادقة، لأنه تلقاه عنه مباشرة، وليس بينهما واسطة، وقال: «ما يرغبني في الحياة إلا الصادقة...» وتتابع أهل العلم على =

أهمية علمية عظيمة، لأنها وثيقة علمية تاريخية، تثبت كتابة الحديث النبوي الشريف بين يدي الرسول ﷺ وبإذنه.

٢ ـ صحيفة جابر بن عبد الله الأنصارِي (١٦ق. هـ ـ ٧٨هـ): كان لجابر بن عبد الله رضي الله عنه صحيفة رواها بعض التابعين، وكان قتادة ابن دعامة السَّدُوسي (ت: ١١٨هـ) يرفع من منزلة هذه الصحيفة، ويقول: «لأنا بصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ مني لسورة البقرة»(١). وكان لجابر رضي الله عنه حلقة في المسجد النبوي، يملي فيها على طلابه الحديث(٢).

٣ ـ الصحيفة الصحيحة لهَمّام بن مُنَبِّه (٤٠ ـ ١٣١هـ): كتب همام بن منبه أحد أعلام التابعين عن الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه كثيراً من حديث رسول الله ﷺ، وجمعه في صحيفة أو صحف سماها «الصحيفة الصحيحة»، وقد ضمت (١٣٨) حديثاً، وصلتنا كاملة مستقلة، ونقلها الإمام أحمد بتمامها في «مسنده» وأخرج الإمام البخاري كثيراً من أحاديثها في أبواب شتى من كتابه.

ولهذه الصحيفة أهمية علمية تاريخية، تثبت أن بعض التابعين قد كتب

= تسمية مدونات الصحابة والتابعين بالصحف، فالصحيفة بمعنى مدونة، وإن كانت تضم كثيراً من الصفحات أو الرقاع وغيرها.

(١) من المحتمل أن تكون هذه الصحيفة غير المنسك الصغير الذي أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» في كتاب الحج، وقد ذكر ابن سعد هذه الصحيفة في ترجمة مجاهد في «طبقاته» ص ٤٣٣ جـ ٥، وذكر ابن سعد قول قتاده السابق في «طبقاته» ص ١ ـ ٢ قسم ٢ جـ ٧. وكان قتادة (يحدث عن صحيفة سليمان اليشكري، وكان له كتاب عن جابر بن عبد الله) «القياس» لابن القيم ص ١٠٨.

(٢) روى أبو الزبير محمد بن تدرس، وأبو سفيان، والشعبي عن جابر رضي الله عنه وقد سمعوا منه وأكثر ما رووه في الصحيفة. انظر «تهذيب التهذيب» ص ٢١٤ جـ ٤.

حديث رسول الله ﷺ عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

٤ ـ «المجموع» للإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٨٠ ـ ١٢٢هـ): كان الامام زيد رحمه الله قد أملى على طلابه حديث رسول الله ﷺ وبعض فقهه، ودوّن هذا في أواخر القرن الهجري الأول ومطلع القرن الهجري الثاني، ووصلنا في مجلد كبير ضم (٢٢٨) حديثاً مرفوعاً إلى الرسول ﷺ، و (٣٢٠) خبراً عن سيدنا علي رضي الله عنه، و (٢) خبرين عن الحسين رضي الله عنه، إلى جانب فقه الإمام زيد، وقد رتب المجموع على الموضوعات، على أبواب الفقه، ففيه كتاب الطهارة، وكتاب الصلاة، وكتاب الجنائز... وكتاب البيوع..

والمجموع من أهم الوثائق العلمية التاريخية، التي تثبت ابتداء التصنيف والتأليف في أوائل القرن الهجري الثاني.